نحو إعادة القراءة لفن الرسائل في الجزائر العثمانية من حيث المبنى و المعنى

Towards a re-reading of the art of letters in Ottoman Algeria in terms of structure and meaning

عبد العزيز شويط *

[1]جامعة محمّد الصديق بن يحي- جيجل(الجزائر)

الملخص:

يحاول هذا المقال أن يعيد قراءة الأدب الجزائري القديم في العصر التركي، وخاصة الرسائل الديوانية والإخوانية ضمن الفنون النثرية، و ذلك من حيث اللغة المستعملة، هل راعت لغة الشعب أم لغة أصل الحكام الأتراك للجزائر؟ ،بالإضافة إلى محاولة استكشاف تقنيات فن الرسالة الديوانية و الإخوانية من حيث الشكل ومن حيث المرسل والمرسل إليه، و من حيث المضامين و بناء الرسالة في حد ذاتها ؛فما الثابت فيها وما المتحول ، بالنظر إلى ما ألفناه في فن الرسالة العربية منذ أعلام أدب الرسائل في العصر العباسي؟.

الكلمات المفتاحية: النثر القديم ،الرسائل الجزائرية، الأدب القديم ، الحكم التركي في الجزائر، المبنى والمعنى

Abstract:

This article attempts to re-read ancient Algerian literature in the Turkish era, especially the Diwani and Ikhwan letters within the prose arts, in terms of the language used. Did it take into account the language of the people or the language of origin of the Turkish rulers of Algeria? In addition to trying to explore the techniques of the art of the Diwani and Brotherhood message in terms of form, in terms of sender and addressee, and in terms of contents and the construction of the message itself; what is constant in it and what is variable, given what we have learned in the art of the Arabic message since the masters of message literature in the Abbasid era.?

Keywords: ancient prose , Algerian letters ,ancient literature ,Turkish rule in Algeria , structure and meaning.

* عبد العزيز شويط

مقدمة :

ربما لم يحظ جنس أدبي نثري من آداب العرب من حيث النقل كما حظي به أدب السائل سواء مبثوثا بين أمهات كتب الأدب العربي أم في صبح الأعشى للقلقشندي أم فيما ورد إلينا من كتب تتحدث عن الخطابة ، و كثيرا ما ارتبط ذكر الرسالة بذكر الخطابة ، ولكن النقل غير النقد ، و لذلك كان نقدنا العربي الحديث في حاجة ماسة إلى إعادة القراءة لما تم نقله إلينا من رسائل العرب ، الديوانية منها و حتى الإخوانية ، و عليه يليق بنا أن نقرر أنه لا مسوغ لعملية تسوية بين فن الشعر (أدب العرب الأول) و فن الرسائل و لا حتى بين الخطابة (أدب العرب الثاني) و فن الرسائل ، إننا إذ نقترح ذلك نكون مجانبين للاعتدال و الواقعية ، لا بمعيار الكم أو الكثرة و لا بمعيار الكيف أو الجودة:

1 . فن الرسالة عند العرب و عند الغرب / الهوية و المفهوم :

باستثناء رسائل النبي صلى الله عليه و سلم إلى ملوك العالم، لم تستحوذ مضان اللغة والأدب العربي على دراسة واسعة لأدب الرسائل تكون على شكل نقد أو ترقى إلى دراسة نقدية وافية ، لا شرحا و تأويلا و لا حتى نقدا مقارنا أو حتى مكتفيا بالمعيارية ، منذ الكامل للمبرد و إلى العقد الفريد لابن عبد ربه ، فلم نلق عند هذين الكتابين وحتى عند غيرهما على غير النقل و إن تم العثور على أي نوع من أنواع التعاليق فهو من باب التعليق الطفيف ، و هو ما تفطن إليه الدكتور مُحَمَّد غنيمي هلال فقال بشأنه : "وما ذكروه في أدب الرسائل لم يعد ذا قيمة في النقد ، فهو أقرب إلى تاريخ الأدب ، على أن كثيرا مما ذكروه في باب الرسائل مكرور مع ما أوردوه في الخطابة ، ثم إن الرسائل و الخطابة قد غزتهما – بعد تطورهما – ضروب التخيل و المجاز حتى قربا من الشعر ، فأصبحت لغتهما كالشعر المنثور لا يفرقها من المنظوم غير الوزن" [1]

يركز الذين تناولوا موضوع الرسالة من حيث المفهوم من معجميي المعاني العرب في الرسالة بالطرق على فكرة الآداء ومعنى التبليغ ، و هي الوظيفة التواصلية و التفاعلية المعنوية غير التجسيدية من حيث التركز على النقل من جهة، مما يعني غياب المرسل عن المرسل إليه و استحضاره ذهنيا من خلال الكتاب . و تركز أيضا على الكتابة في الغالب إذا استثنينا الرسائل المنقولة مشافهة و الملقاة إلى المرسل إليه من حفظ الذاكرة ، و على كل فإن الكتابة هي ديدن الرسالة منذ بزوغ فجر الكتابة عند العرب في جاهليتهم (المرحلة الشفوية) أم في مرحلتهم الكتابية التالية منذ الإرهاصات الأولى بفعل ممارسة فعل القراءة و مقابله الموضوعي الكتابة ، و حتى في ظل ترسخ فكرة الكتابة و انغماس العرب في مشروع تجسيد مرحلة الشعرية الكتابية ، و هو ما لا ينفك يعبر عنه الجرجاني (الشريف) في تعريفاته فيقول

معرفا الرسول في الفقه : "و هو الذي أمره المرسل بأداء الرسالة بالتسليم أو القبض" [2] و المرسل هنا في نص الجرجاني معلوم بالضرورة و هو الذات العلية تبارك و تعالى .

والمثير للأمر في مسألة الرسول الديني و الرسالة الدينية أن كل رسول يأتي معه بكتاب مقدس من مثل الصحف والمزامير و التوراة و الزبور و الإنجيل و القرآن و هي كتب مكتوبة ، حققت فعل الكتابة الذي أصبح فيما بعد قرين فن الرسالة في الأغلب و الأعم .

والحقيقة أن قدسية الكتابة تعوض الرسالة ما فاتها من تأثير عنصر الحضور الذي نالت حظوته الخطابة التي تقتضي تواجد المرسل تواجدا حسي ، تنقل لنا الباحثة سعودي يمينة نصا للعسكري أبي هلال يعبر عن انتباه الرجل لما تفعله الكتابة من فعل سحري يكاد يكون مساويا لفعل الحضور في الخطبة من خلال ما فات الرجل من علاقة الكتابة بالدين ، بالقرآن ، بالمكتوب ، بالنص ، بالتقييد و الخلود ،و حتى بالسلطان و دواوينه ، أكثر من الخطبة ، إذ الخطبة تأثيرها في التواجد و ما يصاحبه من عادات العرب و مستلزمات الخطبة ، و هو قوله :"وأعلم أن الرسائل، والخطب متشاكلتان،والخطبة تجعل الرسالة في أيسر كلفة ...و مما يعرف أيضا من الخطابة والكتابة أنهما مختصان بأمر الدين . والسلطان، وعليهما مدار الدار"3 .

ومع ذلك فنحن في حاجة إلى تعريف مدرسي لفن الرسالة ،كفن نثري عرفه العرب في أدبهم . يقول الدكتور مُحَمَّد صالح الشنطي عن فن الرسالة : "الرسالة فن عربي قديم ما زال له دوره وأهميته، والرسائل نوعان: شخصية أو إخوانية كما كانت تسمى، ورسمية أو ديوانية، وقد كان للرسائل الديوانية تقليدها ورسومها، وقد عبرت الرسالة الديوانية عند ظهورها عن انعاطفة هامة في تاريخ النثر العربي، ليس هذا فحسب بل أدت إلى ظهور طبقة من الكتاب، نهضت بهذا الفن مثل: عبد الحميد الكاتب الذي يعد بحق صاحب نهج جديد في الكتابة النثرية العربية، إذ يقال بدأت الكتابة بعبد الحميد وانتهت بابن العميد. وقد احتوى كتاب جمهرة رسائل العرب على طائفة من الرسائل في مختلف العصور. وتبدو فيه التقاليد الفنية التي تَرَسَّمها المنشئون في هذا الميدان. والرسائل الشخصية تعالج موضوعات متعددة كالتهنئة والتعزية والدعوة، ويختلف الأسلوب في هذا النوع من الرسائل من مناسبة إلى أخرى، ففي رسائل التهنئة يعمد الكاتب إلى شيء من الإطناب لأنه؛ مقام الحديث فيه مستحب، أما رسائل التعزية، فالإيجاز فيها مطلوب لأنه موقف يقتضي الاقتضاب والبعد عن الإسهاب.

2 .التعريف: ويطلق على فن الرسالة المكاتبات، وتعرف المكاتبة بأنها مخاطبة الغائب بلسان القلم، ويجب أن يراعى فيها أحوال الكاتب والمكتوب إليه، ونوع العلاقة بينهما، وقد تنبه إلى ذلك القدماء وأوصوا به.

3.مقومات الرسالة: يقول إبراهيم بن مُحَمَّد الشيباني: إذا احتجت إلى مخاطبة أعيان الناس وأوساطهم أو سوقتهم فخاطب على قدر أبهته وجلالته، وعلو مكانته وانتباهه، وفطنته ولكل طبقة من هذه الطبقات معدن ومذاهب يجب عليك أن ترعاها في مراسلتك، فلا تكتب لمن أصيب في ماله أو في عياله كما تكتب لمن فرغ ووفر ماله1.

وقد اشترط في الرسالة الخاصة أن تحتوي على خمس خواص وهي:

- السذاجة: التي تجعل الكلام بعيدًا عن التكلف والزخرفة والبهرجة المفتعلة.
- الجلاء: "الوضوح" حيث يخلو الكلام من الغموض والتعقيد فيتصف بالوضوح.
- الإيجاز: ويعني خلو الكلام من الحشو والتطويل.
- الملاءمة: أي التناسب بين الكلام ومنزلة المرسل إليه.
- الطلاوة: والمقصود بها العذوبة وجودة العبارة وسلامة المعنى وسلاسة القول.

4.أنواع الرسائل:

- الرسائل الخاصة : منها ما هو متبادل بين الأقارب والأصدقاء والتعزية، وكانت تتضمن طريف المعاني وبديع الصيغ، كما في رسالة مُحَمَّد بن زياد الحارثي في الشكر"4

ولعل هذه التقعيدات و هذا الضبط المنهجي لهذا الفن النثري يدل على العلاقة الوطيدة للعرب بفن الرسالة بنوعيها، وإن مجرد إطلالة فاحصة على ما تناقلته لنا كتب التراث من أدب الرسائل تحيلنا إلى من أبرز من أبدع في هذا الفن و أشهرهم على الإطلاق ، للاستدلال على أصالة هذا الفن النثري عند العرب من حيث التطور و الكمال ، و هو عبد الحميد الكاتب. "وعبد الحميد أبلغ كتاب الدواوين في العصر الأموي و أشهرهم ، و قد ضربت ببلاغته الأمثال ...يقول ابن النديم :" عنه أخذ المترسلون ، و لطريقته لزموا ، و هو الذي سهل سبيل البلاغة في الترسل " و يزعم المسعودي أنه أول من استخدم التحميدات في فصول الكتب"5 ، و المسعودي ههنا ليس ذو علاقة بالنقد و لا بالأدب ، فالرجل إخباري من الإخباريين المسلمين أو بالأحرى هو مؤرخ من المؤرخين ، و هو ما من شأنه أن يثبت دعوى الدكتور شوقي ضيف من أن ما ورد إلينا من رسائل من التراث العربي كانت من باب التأريخ للأدب أو التأريخ للحياة على وجه العموم و هو ما يجعل نقدنا الأدبي مقصر في دراسة فن الرسائل . و هو ما لم تقع فيه الأمم الأخرى ، و أخص بالذكر أوروبا ، ما دامت السباقة إلى ابتكار مناهج النقد الأدبي ، و لذلك يذكر جان ماري شيفير في كتابه " ما الجنس الأدبي ؟" اهتمام الأداب الوصفية و الإحصائية و التصنيفية النقدية للأدناس ا أدبية في ثقافة الغرب كما هائلا من أشكال الرسائل ، يقول : "في العصر القديم تم تمييز ليس أقل من تسعة وأربعين شكلاً من الرسائل. دون حساب الأجناس المتعددة

للمراسلات المهنية، عرفت الرسالة الخاصة عدة نماذج جنسية فرعية، مثل رسالة العزاء، ورسالة التهنئة، ورسالة الالتماس، إلخ. ولكن نرى أن هذه الخصوصية للمصطلح تعود إلى أن الرسالة يمكن أن تشغل عدة وظائف نطقية، وتقوم بأعمال تواصلية مختلفة" 6 ،وهو ما يدل على عميق الاهتمام بفن الرسائل عندهم من حيث الهوية الأدبية و من حيث التصنيف الجنسي لهذا الفن ، و يدل أيضا على عميق الصلة للغرب بفن الرسالة حتى تفرع عندهم كل هذه الفروع و تنوع كل هذه الأنواع ، و كم كنا في حاجة – في نقدنا الأدبي الجزائري إبان المرحلة العثمانية أو بعيدها بقليل – إلى ملاحظات نقدية من مثل قولهم :" و كان الأدب الجزائري في العهد العثماني غنيا ببعض هذه الفنون كالرسائل و التقاريض ، و لكنه كان فقيرا في بعضها كالخطب و القصص"7 و هو ما لم يحدث ، ناهيك عن أن يصدر مثل هذا التعليق و الحكم العلمي التقريري عن مرحلة النقد الأدبي العربي أو الجزائري القديم ، حتى وجدنا من يعد الرسائل من باب الخطابة ، و السؤال هنا هل يرجع هذا الخلط التجنيسي إلى قلة الرسالة عند العرب أم إلى غلبة فن الخطابة على جميع سعة التلقي العربي حتى غطى هواها و ما ألقى على أبصار النقاد العرب القدماء .

لقد كان فن الرسالة مستقلا عند الغرب عن جميع الفنون النثرية الأخرى ، و"مع ذلك، الاستقلالية الجنسية للرسائل والمذكرات ليست متأثرة بشيء، وهي لا تختلط بالسرد: يحتفظ كل صنف بهويته الخاصة ووصفه العام. الرسالة تبقى رسالة، وإن أعاد قاص إنتاجها، فهي موضوعة إذن ضمن إطار السرد الشامل. في المقابل، يمكن أن تتضمن الرسالة سرداً، ومع ذلك تبقى الرسالة رسالة، ويبقى السرد سرداً. إذن، يمكن أن يتضمن الفعل التواصلي أفعالاً تواصلية أخرى أو أن يدخل فيها، دون أن يؤثر هذا التصنيف في منطق التمثيل الجنسي العام الخاص بكل منها. وإن لم يتحقق الفعل التواصلي إلا جزئياً، يُرجع هذا المقطع إلى الفعل كما هو: أغلب الرسائل المعاد استخدامها في "الباب الضيق" ليست معادة أو منقولة إلا بصورة جزئية، ومع ذلك يكون المقطع النصي المقصود في كل مرة، تمثيلاً للفعل التواصلي الترسلي كما هو."8

5.الجزائر العثمانية و الأدب النثري (معوقات اللغة و مقتضيات السياسة)

إذا كان الأدب لا يزهو إلا في حضن فإن أمراء البلاد الجزائرية في المرحلة العثمانية لم يكونوا يقيمون وزنا حتى للغة هذا الأدب ، و إن الانفصام الحاصل بين لغة السياسة و لغة الشعب ، ينفي بأي حال من الأحوال تطور الأدب مهما أراد الأمير ذلك لأن فاقد الشيء لا يعطيه ، و بايات و دايات الجزائر لم يكن لهم تمكن حتى من لغة الشعب و لغة الأدب العربي ، و عليه كان الأمل معقودا للنجاة في أدب المكاتبات السياسية و هو الرسالة لصلته الوثيقة بالبايات و الدايات و تحتمه عليهم استخداما ، و حتى هذا الأخير و لم ينجح لوجود بدائل عنه منها استخدام اللغة التركية و حتى

بعض اللغات الأوروبية الأخرى للتخاطب بالرسائل ، و ما استعملت فيه اللغة العربية فهو قليل ، يقول الدكتور سعد الله مؤكدا هذه الفكرة : "و قبل أن ندخل في تفاصيل هذه الفنون و دراستها ، نذكّر بما قلناه ... من أن معرقلات نمو اللغة و انتشار الأدب كان أقوى من المشجعات ، فالولاة كانوا لا يفقهون العربية و لا يتذوقون أدبها ... و هكذا كان كل حاكم ، من الداي إلى الباي ، يستغل حكمه للربح المادي الشخصي و خدمة حاشيته و جنوده الذين كانوا جميعا غرباء عن الشعب لسانا و ذوقا"9 و يضيف سعد الله في ذات السياق مؤكدا على حقيقة استخدام دايات و بايات الجزائر للغات أخرى غير العربية في مراسلاتهم و مخاطباتهم و تواصلهم مع الشعب قائلا : "و بالإضافة إلى ضعف مستوى الثقافة ، و إلى منافسة اللغة التركية (بل و اللغات الأوروبية الأخرى التي كان بعض الباشوات يتكلمونها لأنها لسانهم الأم)للغة العربية في الدواوين و في المجالس الرسمية و في التجارة فإن هناك بعض اللهجات المحلية التي كانت أيضا تزاحم اللغة العربية" 10 فتؤثر فيها سلبا بالضرورة ، فإذا ما أعطت السلطة السياسية عنايتها و اهتمامها للغة التركية و بقية اللغات الأوروبية تم إهمال اللغة العربية و توقف تطورها مما يحيلها إلى كساد و لا كساد كتفشي اللحن و حدوث جهل من قبل أهل العربية بعربيتهم . " و قد أدى موقف الولاة و منافسة اللهجات و شيوع الجهل و ضعف المستوى الثقافي و جمود الوظيفة و هجرة أصحاب المواهب إلى شيوع اللحن على ألسنة الكتاب و المدرسين"11 فلم يتبق من ملاذ _ في حال أدب الرسالة _ إلا ما هو متداول بين الأدباء و العلماء و عامة الناس من رسائل إخوانية ، و هذه قلما يحتفظ بها التاريخ لضياعها و قلة اهتمام الدوائر الرسمية و النقدية بها إلا ما كان بين الخاصة من ذوي المناصب والرياسة والجاه والعلم والأدب ، يؤازره بعض ما كان دايات و بايات و ولاة الجزائر عموما يفعلونه من اتخاذ كتاب رسائل من الأدباء المعروفين لكتابة رسائلهم الديوانية (الإدارية) وما أقلها.

هذا والمقرر فيما يتعلق بنوعي الرسالة : الرسائل الديوانية الصادرة عن بعض الأدباء و الموجهة إلى أمراء الأتراك في الجزائر ، و هي أشبه بالمدح السياسي ، و بالرسائل الإخوانية التي لم يحفظ لنا التاريخ إلا ما نتج عن أعيان المجتمع وخاصته حسب ما ينقله إلينا الدكتور سعد الله دائما أن "بعض الجزائريين كانوا مكثرين في كتابة الرسائل و بعضهم كانوا مقلين ، و هذا بالطبع يعود إلى مزاج كل أديب و مدى علاقاته الإنسانية و الاجتماعية ، فعبد الكريم الفكون مثلا كانت له علاقات كثيرة و مراسلات تبعا لذلك ، و كذلك الأمر كان مع أحمد المقري و سعيد قدورة و أحمد بن عمار، ومن حسن الحظ أن الوثائق تحفظ لنا نماذج من هذه الرسائل الإخوانية ، و يبدو أن بعضهم كان متميزا في عصره بكتابة الرسائل الجيدة كما كان غيره متميزا بنظم الشعر الجديد و قد جمع مُحَمَّد بن مُحَمَّد القالي بين النثر و الشعر ، و عبر بكليهما ليصل إلى قلب مُحَمَّد بكداش باشا و يشكو إليه حاله 12، و مدح الباشا بأنه من كبار السلاطين كما مدح في شخصه حكم الترك و أشاد بأصلهم و نوه بفضلهم على الدين و القطر الجزائري أيضا ، و لعل هذا الموقف هو الذي

جعل الباشا يخصص له خراجا من أوقاف سبل الخيرات العثمانية بالجزائر" ليعالج به داء النطبات "كما قال ابن ميمون " 13

يقول الدكتور سعد الله : " و من حسن الحظ أن الوثائق تحفظ لنا نماذج من هذه الرسائل الإخوانية " . و إن تعبيرا كهذا صادر عن شيخ النقاد الجزائريين ، فيه نبرة الغبطة لما يفترض أن يكون عاديا ما دام فن الرسالة عند العرب عريق وأصيل ومتطور ، وللعرب فيه باع طويل ، و مع ذلك وجدنا الرجل يفرح لبقاء بعض النماذج ، مما يدل دلالة قطعية على قلة هذا المطلوب و ندرته في الوصول إلينا حتى أصبح الدارسون الجزائريون لموضوع فن الرسالة في مرحلة الحكم العثماني يتداولون ذات النماذج أو نفس الرسائل بالدرس و التحليل .

6.فن الرسالة الأدبية في الجزائر العثمانية (الثابت و المتحول)

إن ما يركز عليه جميع الباحثين قبل أن يغوصوا في طبيعة فن الرسائل في الجزائر إبان الحكم العثماني هو قلة هذه الرسائل – كما أسلفنا – و هو ما يبرر قلة النقد بهذا النوع من الفنون النثرية على عادة النقد العربي قبل الفترة العثمانية "أما عن رسائل العهد العثماني ومن خلال النماذج القليلة الموجودة عندنا فنلاحظ غير ما سبق حيث أنها لا تحتوي على مقدمات أو افتتاحيات الرسائل القديمة .فرسالة عمر الوزان بدأها مباشرة بعد البسملة بالتصلية على رسول الله وعلى آله وصحبه ثم أفشى السلام، ودعا للمرسل والمرسل إليه دون أن يذكر اسم أحدهما؛ فقال" :بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيدنا ومولانا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا بعد السلام عليكم ورحمة الله اعلموا حفظكم الله تعالى، وشرح صدري وصدركم ، وأخذ بناصيتي وناصيتكم إلى ما فيه الخير والسداد، والصلاح ورضاه ورضا رسوله صلى الله عليه وسلم"14 و هو أول ما نستكشفه مع الباحثة الكريمة سعودي يمينة من خصائص الرسالة الإخوانية الجزائرية في هذه المرحلة بالذات ، و في أول ما يطالعنا من هذه الرسائل و هو الافتتاحية ، و لعل أو ربما مرد ذلك فيما يتعلق بعدم ذكر اسمي المرسل و المرسل إليه إلى ضمان الوصول ، و توفر وسائل الكتابة من جهة و توفر وسائل نقل الرسائل من جهة ثانية ، و هو (الضمان) ما لم يكن متوفرا عند العرب في عصور سالفة ، لقلة وسائل الكتابة و لامتناع توفر الحفظ اللازم لمراسلات المراسلين نظرا لخطورة الطريق و بعدها و مشقتها و ما يتهددها من مخاطر و تعرضها (الرسالة إلى تحريفات محتملة) فتحتم ذكر اسمي المرسل و المرسل إليه .

هذا عن الرسائل الإخوانية في حاضنة لغوية متجانسة و هي اللغة العربية المشتركة بين المرسل و المرسل إليه ، و قد وجدنا هذا التغير في تقنية من تقنيات الرسالة العربية أما حين يتعلق الأمر بالرسائل الديوانية حيث انتفاء التجانس اللغوي بين المرسل و المرسل إليه (الحكام و الشعب) فإن الأثر لن يكون إيجابيا من خلال إضافة تقنية أو حذف أخرى تبعا

لتطور الزمان و خصائص أو طبيعة المكان و إنما المتوقع هو الأثر السلبي في صميم الرسالة ،"والواقع أن سيطرة اللغة التركية على الإدارة في الجزائر قد جعلت الرسائل العربية لا تظهر إلا في النادر ، و هي إذ تظهر لا يراعى فيها الإجادة بقدر ما كان يراعى فيها التوصيل و الفائدة ، و كانت أحيانا تأتي متكلفة ركيكة لأن أصحابها كانوا يحاولون ما ليس من شأنهم ... حقا إن بعض الباشوات قد اتخذوا لهم كتابا عربا يحذقون اللغة ، كما فعل يوسف باشا و مُحَمَّد بكداش باشا . و حقا أيضا أن بعض البايات قد وظفوا بعض الأدباء و المؤرخين العرب ، كما فعل مُحَمَّد الكبير في معسكر و الحاج أحمد في قسنطينة ، و لكن الغالب على الإدارة العثمانية في الجزائر اتخاذ التركية في المعاملات و الوقائع الرسمية ، و بذلك أضرت باللغة العربية إضرارا شديدا و حرمتها من ميدان هي به أولى ، و لذلك لا نجد من الرسائل الديوانية العربية إلا القليل"15 ، و على أن هذا الحل الوظيفي المتخذ قد قلل من الأخطار المحدقة باللغة العربية في الجزائر ، و قلل أيضا من الأخطار المحدقة بفن الرسالة في الجزائر لئلا تنقرض ، فإنه لم يكن كافيا البتة فيما يتعلق بالرسالة الديوانية لأن أكثر العلاقات مما يعني المكاتبات و المراسلات كانت بين حكام الولايات و داي الجزائر و هذه المراسلات لم تكن باللغة العربية لأن لا الولاة (البايات) و لا الداي ممن يتقن اللغة العربية و يستعملها ، و أما مراسلات حكام الجزائر الأتراك مع الخليفة في الآستانة فكانت بالضرورة بلغة هي غير العربية ، و لتكن التركية كما أكد على ذلك الدارسون .

أحيانا – و حسب الحاجة _ تتحتم على حكام الجزائر الأتراك أن يراعوا السياق و النسيج الاجتماعي للمجتمع الذي يحكمونه ، و طبقا لاقتضاء المصلحة و الحاجة ، و لاسيما أمام السلطة الدينية التي يمثلها العلماء و شيوخ الزوايا ، فلا مناص من استعمال اللغة العربية اتي هي لغة هذه الحيثيات الدينية و الاجتماعية ، و ما أقل ما يستخدمون ذلك – طبعا- ، ((و من هذا القليل ما تبادله يوسف باشا مع مُحَمَّد ساسي البوني ففي ذي الحجة من سنة 1050 أرسل الباشا رسالة منمقة إلى المرابط مُحَمَّد ساسي بعنابة حدثه فيها عنه عدوله عن حرب الإسبان بوهران و التوجه بدلا من ذلك إلى قسنطينة و بسكرة لمحاربة المتمردين (ثورة ابن الصخري) ، و طلب الباشا من المرابط العمل على جلب طاعة الناس و القيام بدور العلماء في مثل هذه الأحوال باعتباره عالم تلك المدينة و النواحي المجاورة لها ، و يبدو من الرسالة أن كاتبها أديب بارع متمكن من صناعة الإنشاء و الأساليب البديعية ، و هي في ثلاث صفحات ، و قد رد مُحَمَّد ساسي برسالة من عنده طالبا من الباشا العفو عن أهالي عنابة و نواحيها ، بعد أن تأكد من أن الباشا قادم لمعاقبة الثوار و المشايعين لهم ، و أخبره بأنه يدعو الله أن يغير من أحوال السوء التي نزلت بالباشا وأبدى له الأسف عما وقع ضده ، و ناشده الصبر و عدم تصديق ما نقله الناس إليه ، كما أخبره أنه لن ينسى وده . و رغم أن رسالة مُحَمَّد ساسي ليست ديوانية بالمعنى المصطلح عليه فإنها متصلة بهذا المعنى اتصالا مباشرا)) و توجد رسالة ثانية للباشا المذكور لمحمد ساسي في أوائل صفر سنة 1051 ردا على رسالة هذا الأخير السابقة مستجيبا فيها لما طلبه منه من عفو 16. و لعل القارئ يلاحظ

أن مصيبة قوم عند قوم فائدة ، فاضطرار الحكام الأتراك إلى الاستعانة بالعلماء و فئة المرابطين في الجزائر قد دفعتهم قصرا إلى استخدام اللغة العربية في الرسائل و المكاتبات ، و أي لغة ؟ إنها لغة راقية من خلال أحد المتأدبين الكبار يصفه الدكتور سعد الله وصفا نقديا بأنه أديب بارع متمكن من صناعة الإنشاء و الأساليب البديعية ، و يقرر أيضا أنها طويلة بلغت ثلاث صفحات ، مما يعطي غنى ما لفن الرسالة في الجزائر في هذه الحقبة الزمنية ، بل و يذكر الدكتور أبو القاسم سعد الله في نفس السياق أن هناك رسالة أخرى ديوانية من مُحَمَّد بكتاش إلى أحمد البوني و هو حفيد المرابط مُحَمَّد ساسي المذكور و تاريخها هو جمادي الآخرة سنة 1115 قبل أن يتولى مُحَمَّد بكتاش الباشوية و تكاد هذه الرسالة تكون إخوانية رغم صدورها عن جهة رسمية كما يقول الدكتور سعد الله 17 ، و يؤكد هذا الخبر فضل الحيثيات الدينية و الاجتماعية في الحفاظ على فن الرسالة في الجزائر بلغة عربية راقية و فنية سواء إخوانية بين هذه الحيثيات أم ديوانية من خلال إجبار الحاجة لذوي السلطة و الرياسة من الأتراك إلى استعمال اللغة العربية و الطبيعة الفنية للنثر الفني في فن الرسالة في رسائلهم الموجهة إلى هذه الحيثيات لتجد عندهم صدى و قبولا ، و لعل ذلك من باب مراعاة ظروف المتلقي لتؤدي الرسالة وظيفتها و تحقق القبول و النجاح تواصلا و تقبلا و وظيفة أو على مستوى الاستجابة و الإنجاز .

انظر إلى أثر ذلك – حين تحظر الحاجة و المصلحة – على أدب الرسالة الجزائرية في فترة الحكم العثماني و سيادة اللغة التركية ، لغة السلطة و القوة و المال ،و قبل هذا و ذاك حين يحضر السياق المناسب من قبيل إثبات الجدارة في الصراع السياسي ، "وقد عثرنا على رسالة ديوانية تعود إلى سنة 1064 فوجدناها رسالة أدبية قوية ، رغم أنها مغرقة في التكلف و الصنعة ، و كاتب الرسالة هو المحجوب الحضري على لسان الباشا عثمان إلى سلطان المغرب عندئذ ، وهو مُحَمَّد بن الشريف صاحب سجلماسة ، و موضوعها هو العتاب الشديد لمحمد بن الشريف على إثارته أهل تلمسان وندرومة و الأغواط و غيرهم ضد العثمانيين"18 ، قد يكون الأمر من قبيل محاولة إثبات المقدرة و القوة حتى في اللغة والأدب ، الفصاحة و البلاغة ، حتى تكون هذه الرسالة من أقوى الرسائل بين سلطتين تتنازعان القوة و السيطرة والتوسع ، الحكم العثماني و الحكم المغربي .

7.الصنعة في فن الرسالة (الثابت غير المتحول)

إن غياب التلاقي المباشر في الرسالة ، و الأناة أو الروية التي تصاحب عملية كتابتها ، و ما ينتج عن ذلك من النظر و التبصر و الابتعاد عن العفوية و الصدفة ، و الميل نحو التحضير و التدبيج و التحسين و التوشية تجعل من هذا الفن من أكثر الفنون النثرية اعتمادا على الصنعة بعد المقامة ، و ذلك منذ الذين تخصصوا في كتابة فن الرسائل و على رأسهم عبد الحميد الكاتب ، و قد كان" يوشي عبد الحميد أسلوبه بحلية التصوير و ما يدمج فيه من استعارات ، و بحلية

الطباق و المقابلة ، بالضبط على نحو ما كان يصنع الحسن البصري و غيلان الدمشقي و أضرابهما في رسائلهم و مواعظهم"19 و هو ما ظل متواصلا و ثابتا في فن الرسالة العربية إلى العهد الذي نحن بصدد الحديث عنه و هو العهد العثماني . إن ما يفترض في هذا الفن الأدبي كما يذهب إلى ذلك المعجميون العرب المعاصرون أن الطبيعة التواصلية و الوظيفية لهذا الفن تفرض عليه العفوية و السجية و هو ما يتنافى و الفنية أو الأدبية الجمالية ، ولذلك يفترض " ما يكتبه امرؤ إلى آخر معبرا فيه عن شؤون خاصة أو عامة، وينطلق فيها الكاتب عادة على سجيته بلا تصنع أو تأنق وقد يتوخى حينا البلاغة والغوص على المعاني الدقيقة فيرتفع ا إلى مستوى أدبي رفيع"20، ومع ذلك كان ديدن هذا الفن النثري الجميل غير ما افترض له أن يكون عليه ، و كان دائما مخالفا لما تمني له أن يكون عليه ، متلائما مع مفهومه و طبيعته، فحتى في مراحل متأخرة من مراحل تطوره كان– على الدوام – محافظا على ما أريد له أن يكون عليه ، و هيهات بين التمني و الإرادة ، فقد حافظ على التصنع فيه حتى مع ابن العميد ، و إن كان عصر ابن العميد هو عصر الصناعة اللفظية ، إلا أن هذا لا يبرر الإغراق في الصناعة في هذا الفن على اعتبار أنه بدأ متصنعا فيه كنوع من أنواع السجال و المقارعة بإثبات المقدرة اللغوية و الجمالية إلى حد الإكثار و التصنع ،و استخدام كافة ألوان البيان و البديع ، و لذلك "كان ابن العميد يسجع في كتابته و لكن ليس هذا ما يلفتنا عنده ، إنما الذي يلفتنا حقا هو أن مذهب التصنيع تماثل على يديه في الصورة التي كانت تنتظره منذ القرن الثاني ، و نقصد صورة السجع من جهة و الاحتكام إلى البديع فيما ينشئ الكاتب من جهة أخرى .، و من أجل ذلك إذا قلنا : إن ابن العميد هو أستاذ مذهب التصنيع بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة لم نبعد ، لأنه أول كاتب – فيما نعرف – احتكم إلى السجع في كتابته ، كما احتكم إلى البديع من جناس و طباق و تصوير"21 ، و لكن هل كان من الضروري استخدام هذا البديع و هذا البيان التصويري في فن لا يحتاج إلى ذلك أصلا ، و إنما ساعدته على ذلك طبيعته الكتابية و توفر الوقت في الكتابة مما يفتح المجال للإضافة والتزويق إلى حد المبالغة في ذلك و الخروج من الصناعة فالصنعة ؟

في الجزائر إبان المرحلة التركية كان هذا الثابت محققا بجدارة و استحقاق ، فحتى في ظل سلطة لا تتقن اللغة العربية و لا تتعامل بها إلا فيما قل يفترض الاكتفاء بالتبليغ المنوط بالرسالة بلغة بسيطة غير مغرقة في الصنعة ، و قد مال الأدب أصلا إلى التصنع في مثل هذه الظروف و الحق يقال ، و لذلك يمكن القول عن الرسائل الجزائرية في العهد العثماني"ومهما كان الأمر فإن هذه الرسائل جميعا تعتمد النثر المسجوع و تضمن النص آيات قرآنية و أحاديث نبوية و أخبارا تاريخية وأحيانا بعض الأبيات الشعرية إما من نظم الكاتب أو من محفوظاته الخاصة ، كما أنها تهتم بالمحسنات البديعية بكثرة ، و استعمال التلغيز و التلميح و التورية ، و تسير على طول المقدمة أو الديباجة و التفنن فيها بصفة خاصة ، و الدعاء للمرسل إليه ، و نحو ذلك من الأساليب الإنشائية التي لم تكن بدعا في حد ذاتها"22 ليضاف

استخدام الموروث الديني من قرآن و حديث نبوي شريف إلى فن الرسائل الجزائرية كثابت آخر من هذه الثوابت ، ليس من خلال المقدمة و البسملة أو الحمدلة و حتى الدعاء و إنما في ثنايا النص و لو على سبيل الأدب الوعظي ، و هو ما من شأنه أن يقال عن العديد من الرسائل التي تداولت في تلك الفترة ، و يذكر سعد الله العديد من الرسائل الأخرى في العهد العثماني و منها رسالة ابن الفكون لمحمد تاج العارفين العثماني سنة 1037 23 و هي رسالة من الأدب الوعظي ، طويلة تقع في ثلاث صفحات ، و هي منمقة متكلفة ، التكلف ظاهر في سطورها و روح الدين فيها أوضح من روح الأدب ، و هي مع ذلك قطعة تعطي فكرة تداخل الأدب و الدين في النثر كما يعلق سعد الله عليها . أيضا و رسالة التعزية الصادرة عن المفتي مُحَمَّد بن حسين لابن حمادوش على إثر وفاة أحد أبنائه24 وهي الرسالة التي يعلق عليها سعد الله بقوله : و جملة ابن حسين خفيفة و أسلوبه جيد " . و رسالة قاضي معسكر ، مُحَمَّد بن شهيدة ، إلى ابن سحنون مؤلف (الأزهار الشقيقة) التي يعلق عليه سعد الله أيضا بأنه رسالة أدبية جيدة على الرغم من أنه ، و باعترافه ، لم يأخذ منها نصا ، يضاف إلى ذلك مخاطبة أحمد بن هطال لابن سحنون المذكور ، كما يورد لنا سعد الله رسالة أخرى و هي رسالة عبد القادر المشرفي التي وجهها إلى الحبيب الفيلالي و التي يذكر أنه لا يدري هل هي رسائل أدبية أم تاريخية أم فقهية و لكنها ليست رسالة من النثر الفني كما اتصفت بذلك رسالة ابن شهيدة السالفة الذكر . و يذكر لنا سعد الله رسالة احمد بن عمار إلى صديقه و أستاذه المفتي ابن علي و رسائل أخرى متبادلة بين مُحَمَّد بن رأس العين و مُحَمَّد سعيد الشباح و هي رسائل إخوانية و يختم سعد الله فصل الرسائل هذا بذكر مُحَمَّد بن عبد المؤمن كمجود للرسائل 25 ليتسنى لنا الحديث فيما بعد ، من خلال هذا الحكم النقدي عن هذا المجود للرسائل عن ثنائية الجودة و الكثرة النقدية ، و لاسيما حين نلتقي مع عبارة " و جملة ابن الحسين خفيفة و أسلوبه جيد " و حتى في الحديث عن رسالة ابن شهيدة (قاضي معسكر) إلى ابن سحنون التي قيل عنها بأنها رسالة أدبية جيدة ، إلا أننا لا نفارق الحديث عن الأثر الديني في الرسالة من خلال عد رسالة عبد القادر المشرفي و الموجهة إلى الحبيب الفيلالي رسالة تاريخية فقهية بدل كونها رسالة أدبية و هو الثابت الثاني من ثوابت الرسالة العربية ، أما الثابت الأول الصنعة في أدب الرسائل الجزائرية فبالرجوع إليه من خلال عبد الكريم الفكون ، فقد "كانت لعبد الكريم الفكون مراسلات مع عدد من علماء عصره ، منهم الجزائريون و غير الجزائريين ، فقد ذكر هو أنه كان يتراسل مع سعيد قدورة و أحمد المقري ، و أورد المقري في (نفح الطيب) رسالة بعثها إليه عبد الكريم الفكون من قسنطينة سنة 1038"26، وهي رسالة مسجوعة مطعمة بتسعة أبيات من الشعر كما يذكر سعد الله ، ليخرج علينا ثابت ثالث من ثوابت الرسالة العربية و هو الاستشهاد بالموروث الأدبي من شعر ونثر ، فقد طعم ابن الفكون رسالته بتسع أبيات من الشعر ختمها بها بالإضافة إلى جعلها رسالة مسجوعة .

لم يترك الجزائريون في جميع رسائلهم ذكر المرسل و المرسل إليه ، فقد وجدت رسائل كثيرة تحتفي بهذا الشرط في الرسالة العربية إلى جانب البسملة و الحمدلة و الصلاة على النبي صلى الله عليه و سلم ، و هو ما نجده في الرسالة العربية قديمها و حديثها "أما عن رسالة ابن الفكون التي بعث بها إلى صديقه المقري فقد افتتحها هو أيضا بالبسملة والصلاة على النبي الكريم، ثم ذكر اسمه وهو المرسل بعد وصف نفسه بأوصاف عديدة ثم ذكر اسم المرسل إليه بعد أن وصفه هو الآخر بأوصاف كريمة ونبيلة فقال" :بسم وآله وإنك لعلى خلق عظيم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على من أنزل عليه في القرآن: وصحبه وسلم أفضل التسليم، من مدنس الإزار، المتسربل بسرابيل الخطايا والأوزار الراجي للتنصل منه رحمة العزيز الغفار، عبد الله – سبحانه –عبد الكريم بن مُحَمَّد الفكون أصلح الله بالتقوى حاله، وبلغه من متابعة السنة النبوية آماله، إلى الشيخ الشهير، الصدر التحرير، ذي الفهم الثاقب والحفظ الغزير، الأحب في الله المؤاخي من أجله سيدي أبي العباس أحمد"27 ،غير أن الاستثناء الذي وجدناه و هو لا يختلف كثيرا عن الافتتاح الديني و إن كان يحوره قليلا حسب الظروف و السياق حين يتخاطب الجزائريون مع الأوروبيين ، و هو ما شاهدناه أن "رسائل الشاذلي كانت أغلبها تبدأ بعبارة " الحمد لله ولا حوله ولا قوة إلا بالله." ثم يبدأ مباشرة بالدعاء إلى المرسل إليه فيقول في رسالة بعث بها إلى وزير الحربية الفرنسي الذي أهداه نسخة من كتاب ابن خلدون": حضرة الفاضل المعظم ، والسيد المبجل المكرم ،ذي العقل الراسخ ، والتدبير الشامخ ، محب الخير وأهله، وقايد الناس بقوله وفعله، سعادة وزير الحرب، صانه الله ورعاه، وكان له ومن كل شر حماه السلام عليكم، وعلى من شملته حضرتكم "

و هكذا في جميع رسائله فالدعاء للمرسل إليه هي الخاصية المميزة في جميع رسائل الشاذلي قبل التطرق إلى موضوع الرسالة وصلبها وكأنه بذلك يحاول تحريك عواطف المرسل إليه واستمالته إليه. والشيء نفسه نلاحظه في رسالته التي بعث ا إلى صديقه" بواسوني "سنة 1850 م حيث يقول" :وعلى الحبيب الأديب، الأقرب إلينا من كل قريب صفيناه وخالص ودنا السيد القبطان بواسوني، صانه الله ورعاه، ومن كل بلاء حماه، آمين، السلام ولطائف التحيات والإكرام يعمكم ومن شملته حضرتكم"))28((khodja , secretaire ; t . خواجة khadja et khodja , meme sens خواجي et خواجات pl خوجا et, ات . huga pl . hoga)) 29 ((

8.الرسالة الأدبية الجزائرية وفق معياري الجودة و الكثرة

و على كل فإن السلطة العثمانية في الجزائر لو أرادت أن تنمي الأدب المكتوب باللغة العربية لفعلت ذلك و الدليل على ذلك أن إذا شاءت أن تنتج – عبر كتاب بارعين – أدبا و كتابات راقية حققت ذلك ، و شجعت من يكتب هذه الرسائل و لو بالوظيفة و الرعاية فـ "من الرسائل الديوانية أيضا الرسالة التي بعث بها حسن باي وهران إلى

حسين باشا ، فقد أخبره بأسلوب أدبي رفيع ، عما غنمه الرايس علي البوزريعي من غنائم من المحيط الأطلسي ... فهي من إنشاءات آخر العهد العثماني . و كذلك يقال عن رسائل الحاج أحمد بالي قسنطينة إلى حسين باشا أيضا ...و يهمنا من هاتين الرسالتين ، بالإضافة إلى رسالة الباي حسن ، كون الإدارة العثمانية الإقليمية كانت تستعمل اللغة العربية في مراسلاتها مع الحكومة المركزية ، و أن بايات الأقاليم كانوا يوظفون الكتاب العرب في دواوينهم))30 و ليس أدل على القيمة الأدبية لهذه الرسائل من الحكم السابق الصادر بحقها من خلال القول بأنها إخبار بأسلوب أدبي رفيع ، و هو ما يؤثر إيجابا حتى على المبادرات الشخصية من خلال الرسائل الإخوانية التي يتبادلها هؤلاء الكتاب الموظفين مع أصحابهم و ذويهم ، أو غيرهم من الكتاب الجزائريين . "وهناك العديد من الرسائل الإخوانية بعضها قد فقد نصه و لم تبق إلا الإشارات إليه في التراجم و نحوها ، و البعض الآخر مازال موجودا لحسن الحظ . و ممن اشتهر بين معاصريه بكثرة المراسلات مع غيره : أحمد المقري و عبد الكريم الفكون و أحمد بن عمار من الأدباء ، بالإضافة إلى علماء آخرين تغلب عليهم الفقه أكثر من الأدب ، أمثال عيسى الثعالبي ، و عبد القادر المشرفي وسعيد قدورة وابن العنابي . فقد كان الأدباء يتبادلون الرسائل في أغراض شتى كإعراب مسألة ، و الإخبار بكتاب ألف ، و التعزية في فقيد ، و التهنئة بحادث سعيد و الاعتذار ، وحل لغز أدبي ، والتوصية على قريب أو صديق ، و نحو ذلك من الأغراض الاجتماعية، وكانوا في العادة يضمنون رسائلهم النثرية بعض الشعر من البيت إلى الأبيات ، و يتنادرون و يظهرون براعة الحفظ ، وأحيانا كانوا يجاملون بعضهم البعض فيكتفون بالثناء و الإطراء على النقد و إظهار الحق"31، ولكن الذي يهمنا هنا هو الحكمين السابقين المتعلقين بالرسالة الأدبية الجزائرية ، فبرغم ما سبق ذكره من عوامل تعمل على اضمحلالها ، وجدنا الجودة قد تحققت في هذه الرسائل الإخوانية منها و حتى الديوانية ، و قد سبقنا الأولى على الثانية لما تتطلبه الأولى من عناية و ازدهار لكونها متبادلة بين عرب يمثلون النخبة الأدبية و العلمية ، و لما يتصور من الثانية أن السلطة التركية ستعمل على اضمحلالها بعدم الاهتمام باللغة العربية و إحلال التركية مكانها ، أما الحكم النقدي الثاني و المتعلق بالكثرة فالأسماء الكثيرة المذكورة على أنها أبدعت رسائل تعزز ما يذهب إليه بأن الرسالة في الجزائر قد كتبت و تواجدت على نطاق واسع و إنما يد الدهر لم تحفظ لنا هذه الرسائل.

9.الخاتمة :

فن الرسالة هو فن كتابي بالدرجة الأولى ، و لذلك لا نتصور رسالة غير مكتوبة إلا فيما ينذر ، و قد قيل بأن العلم صيد و الكتابة قيد، ولذلك قيدت لنا الكتابة الرسالة حتى سمي فن الرسالة بفن المكاتبات، والرسالة فن وظيفي بالدرجة الأولى أيضا إذ أنه عماد التواصل بين القريب و البعيد و ما أكثر الأقربين الأبعدين والرسالة أيضا فن إنساني في

جانبه الإخواني كما أنه فن السياسة و الإدارة في بعده الديواني ، و هذا الشمول و التزاوج بين الشعب والسلطة أعطاه قوة أكثر في الانتشار والإنتاج و التلقي الاحتفاء و لذلك فهو ذو بعد اجتماعي إنساني فبرغم ما شهدناه من تضييع اللغة العربية من خلال الأتراك في الجزائر ظلت الرسالة واقفة على رجليها ، فإذا حاربت السلطة أي جنس أدبي أبقت على الرسالة لحاجتها إليها حتى تتواصل مع الرعية ، بل بالعكس لغة السلطة المختلفة عن لغة الشعب تجعل من وسيلة التواصل هي الرسالة بدل الخطبة تجنبا للإحراج في الترجمة و مواجهة الجمهور بلغة غير لغته ، ومع ذلك فالشعر و الخطابة و غيرها من فنون الأدب هي فنون الخاصة و الرسالة فن الخاصة و العامة و هو ما ضمن لها البقاء و التطور حتى في زمن سلطة كسلطة التتريك ، ولذلك كانت الرسالة تحمل بدور نمائها في ذاتها الكتابية ، في ذاتها الاجتماعية و الإنسانية وفي ذاتها الرسمية و غير الرسمية.

9.الهوامش والإحالات:

1- مُحَمَّد غنيمي هلال: النقد الأدبي الحديث، نهضة مصر للطباعة و النشر والتوزيع ، مصر ، ط 08 ، 2009 ، ص : 193 .

[2] – الشريف الجرجاني (علي بن مُحَمَّد): التعريفات ، تحقيق و زيادة ، مُحَمَّد عبد الرحمن المرعشلي ، دار النفائس ، بيروت لبنان ، ط 02 ، 2007 ، ص : 180 .

[3] – العسكري أبو هلال :كتاب الصناعيين الكتابة والشعر .تحقيق علي مُحَمَّد البجاوي ومُحَمَّد أبو الفضل إبراهيم) .(ط :(1 دار إحياء الكتب العربية .القاهرة 1952 .م . ص136 .

4- مُحَمَّد صالح الشنطي : فن التحرير العربي و ضوابطه و أنماطه ، دار الأندلس للنشر و التوزيع ، حايل السعودية ، ط 05 ، 1422 ، 2001 ، ص : 173 – 175

5- شوقي ضيف : الفن و مذاهبه في النثر العربي ، دار المعارف مصر ، ط 03 ، د ت ، ص : 114 ، 115 .

6- جان ماري شيفير : ما الجنس الأدبي ؟ ترجمة : غسان السيد ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، سورية ، د ط ، دت ، ص : 86 .

7- سعد الله أبو القاسم : تاريخ الجزائر الثقافي، دار البصائر ، الجزائر ، ط 06 ، 2009 ، ج 02، ص : 171 .

8- جان ماري شيفير : ما الجنس الأدبي ؟ ، مرجع سابق ، ص : 114 .

9- سعد الله أبو القاسم : تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق ، ص : 171، 172 .

10 – سعد الله أبو القاسم : تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع نفسه ، ص : 172 .

11 – سعد الله أبو القاسم : تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق ، ص : 173 .

12 – نص الرسالة هو ((جل الله تعالى مالك الملك ، و مقيم قسطاس العدل بما أراده من إعزاز السادات الترك .. جمع سبحانه و تعالى بهم كلمة الدين الحنيف ، و آثرهم بهذا الملك الكبير و هذا العز المنيف ، و شرفهم بما وهبهم من الرتب العالية ، و هم أصل للرفعة و التشريف ، و خصهم بمكارم الأخلاق و نزاهة الأقدار ، و جعلهم بهذا القطر رحمة للعباد ، و أخمد بشوكتهم نار الفتنة و العناد ، فسلكت بهم السبل و أمنت بهم البلاد ، لطفا منه سبحانه بهذه الأقطار ، نسأل الله .. أن يبقي جنابهم السعيد عاليا على كل جناب ، و أن يخلَد الملك فيهم على مرور الدهور و انقضاء الأعمار ..و بعد ، فإن الله تعالى منَ على المسلمين بسيدنا و مولانا سلطان الملوك و الأكابر ، المخصوص بأفضل الشمائل و المآثر ، الإمام العادل ، السلطان الفاضل ، العالم العامل ، صلاح الدنيا و الدين ، سلطان الإسلام و المسلمين ، الذي أطلعه الله في سماء الجلالة بدرا ، و رفع له في درجات الأمراء قدرا ، و أجرى له على ألسنة الخلق ثناء جميلا و ذكرا ، فأصبح الدين مبتهجا بكريم دولته ، و جناب الكفر مهتظما بعظيم صولته ، مولانا و سيدنا مُحَمَّد خوجا الدولاتلي أبقى الله تعالى أيامه ، و أصحب النصر و التمكين ألويته و أعلامه ، و هو نصره الله ، أجل من استعين به فكان خير معين ، و أعطى مفاتيح فتلقاها باليمين ، و أفضل من امتثل قوله صلى الله عليه و سلم : من فرج على أخيه المؤمن كربة من كرب الدنيا فرج الله عليه كربة من كرب الآخرة ، إلى غير ذلك من الأحاديث النبوية و الآيات القرآنية ، حسبما أحاط

به علم مولانا ، نصره الله ، من مروي و منقول)) منقولة عن سعد الله أبو القاسم : تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق ، ج 02، ص : 188- 190 .و قد نقلها سعد الله بدوره عن التحفة المرضية لابن ميمون ، مخطوطة باريس ، ص : 74 – 78 .

13 – سعد الله أبو القاسم : تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق ، ج 02، ص : 188 .

14 –سعودي يمينة : الحياة الأدبية بقسنطينة ، رسالة ماجستير مخطوطة ، إشراف الأستاذ الدكتور الربعي بن سلامة، جامعة منتوري قسنطينة 2005/ 2006 ص: 135 .

15 – سعد الله أبو القاسم : تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق ، ج 02، ص : 190 .

16 – سعد الله أبو القاسم : تاريخ الجزائر الثقافي ، مرجع نفسه ، ج 02، ص : 191 .

17- سعد الله أبو القاسم : تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق ، ج 02، ص : 192 .

18- سعد الله أبو القاسم : تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع نفسه ، ج 02، ص : 192، 193 .

19- شوقي ضيف : الفن و مذاهبه في النثر العربي ، مرجع سابق ، ص : 119 .

20 – جبور عبد النور :المعجم الأدبي .دار العلم للملايين .الطبعة الأولى .بيروت 1979 .م .ص122

21 – شوقي ضيف : الفن و مذاهبه في النثر العربي ، مرجع سابق ،ص : 209 .

22 – سعد الله أبو القاسم : تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق ، ج 02، ص : 192 .

23 – قطعة منها : ((الحمد لله، يقول كاتب الأحرف المسمي نفسه آخرا أن صاحبنا الأديب البليغ الناظم الناثر ريحانة الآداب و واسطة الأحساب سيدي ... العياشي ، وصل الله إكرامه ، و بلغه من محمود المقاصد مرامه ، خاطب العبد الفقير بقصيدة متمكنة الأعجاز و الصدور ، مسبوغة بأسجاع متناسقة و لا تناسق القلائد في النحور على الصدور ، فجرى قلم فكري الفاتر و ذهني القاصر ، شاكرا لفضله بهذه الأبيات المتأخرة عن مبارات الصاحب الأرضي ، البائنة عن صوب معاقد البلاغة إن لم تنظر بعين المسامحة والإغضا))ينظر سعد الله أبو القاسم:تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق ، ج 02، ص : 196 ،197 .

24 – قطعة منها : ((فقد بلغنا ما أحار الأذهان و أشجاها ، و أطار النور من الأجفان و أبلاها ، و أضرم لواعج الأشواق ، و أذكى زواعج الإحتراق ، بالذي صدع أعشار القلوب ، و أفاض على صحن الخد الدموع من الغروب .. حتى أدركتني محنتك و موت ولدك فأخذتني الصدمة ، و هيجت لي المحنة ، فلقد رمانا الدهر بسهام صروفه فأصمانا ، و تعهدنا خطبه فهد عروشا و أركانا ، فاصبر له صبر الأجواد ، إنما صبر الكريم على الرزية أجمل))ينظر سعد الله أبو القاسم : تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق ، ج 02، ص : 197 .

25- سعد الله أبو القاسم : تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع نفسه ، ص : 196-198 .

26- سعد الله أبو القاسم : تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق ، ج 02، ص : 195 .

27 – سعودي يمينة : الحياة الأدبية بقسنطينة ، رسالة ماجستير مخطوطة : ص : 137 .

28 – سعودي يمينة : الحياة الأدبية بقسنطينة ، رسالة ماجستير مخطوطة، ص : 137، 138 .

29 - ben chaneb , mohammed :mots turks et peranns conserves dans le parler algerien , alger , 1922 , p : 39

30 –سعد الله أبو القاسم : تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق ، ص : 194 .

31- سعد الله أبو القاسم : تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق ، ج 02، ص : 195 .